CSPS SOUTH SUDAN
CENTER FOR STRATEGIC & POLICY STUDIES

مُنتَدى الفِكـــر

ديسمبر ٢٠٢٢

الفـدرالـــية ...

الشكل المطلق لتوزيع السلطات والأنماط الدستورية لنظم الحكم

الفـــدرالـــــية ...

الشكل المطلق لتوزيع السلطات والأنماط الدستورية لنظم الحكم

ويلسون ديقيد وون

- ناشط سياسي و مهتم بالشؤون الإفريقية.
- استاذ معهد التدريب السياسي و اعداد القادة للحركة الشعبية .

مدير السابق لمركز د: دكتور جون قرنق دي مبيور للدراسات الفكرية والاستراتيجي

مقدمة:

إن المجتمع الإنساني مر بتمرحلات تاريخية طويلة المدى، عبر صراعًا طويل مع الطبيعة نتج عنه الثقافة كاستنتاج للحوار الإنساني بينه والطبيعة، فكانت الثقافة بكل معانيها (مجموع العادات والتقاليد والدين واللغة والاقتصاد والسلوك وكل ما ينتجه المجتمع عبر رحلة التطور المعرفي) إلا أن جل ما انتجه المجتمع من أنماط الثقافة، دعت الضرورة لوجود شكل إداري لإدارة شؤون المجتمع وضبط السلوك الفردي، وذلك نتيجة لإرتفاع حدة العنف والصراع بين البشر أنفسهم مما شجعهم لاختيار قائد ينصاع له أفراد المجتمع، وغالبًا ما كان المعيار الثابت أما أن يكون لاكثرهم قوة أو لاكثرهم حكمة، وهكذا تطورت هذه الانماط مع تطور الوعي الانساني واصبحت القوة البشرية الأكثر شجاعة تمثل جيش الدولة والرجل الحكيم أو الأكثر قوة ثم أصبح يمثل رئيس الدولة. وتطورت الأنظمة الاقتصادية فكان هناك الراسمالية والاشتراكية، وظهرت أشكال جديدة للاستغلال البشري عبر استعمار شعوب لاخرى، ولكن بالرغم من هذا التطور الكبير للفكر الإنساني إلا أن البشرية ما زالت تعاني من وجود مركزيات ثقافية سيطرت على أدوات السلطة في الدولة، وأصبحت تقهر بها البقية المختلفة ثقافيًا، فاصبحت الانسانية في حوجة لنظام حكم تستطيع ان تدير بها أشكال التنوع والتعدد الثقافي متواجده داخل اطارها، فكانت الفدرالية أحد المخرجات المعرفية لمعالجة مشكلة إدارة التنوع والتعدد داخل الدول كنظام للحكم، لذالك عزمنا على كتابة هذه المقالة عسى أن يساعد في فهم التفاصيل المعرفية للفدرالية، وبما ان بلادنا هي الأكثر حوجة للفدرالية لمعالجة التعقيدات الإجتماعية والسياسية والتنموية، نتمنى ان يكون هذا البحث مفيدًا للمهتمين والدارسين والفئات الإجتماعية المختلفة.

تعريف الفدرالية:

إن مصطلح الفدرالية يشوبه الغموض وقلما يعطي معنىً واضحًا غير مشكوك فيه. ومصطلح الفدرالية مشتق من الكلمة اليونانية (feodus) ومعناه المعاهدة أو الإتفاق، وأشارت دائرة المعارف الإجتماعية إلى أن مصطلح الفدرالية يشوبه الغموض وكذلك أشارت إلى أن المصطلح في كثير من الأحيان له أربعة معانٍ رئيسية هي:

1. التحالف
2. العصبة
3. الإتحاد الكونفدرالي
4. الإتحاد بمعناه الأدق

لقد ولجت كلمة الفدرالية اللغة الإنجليزية من نافذة اللغة الفرنسية أو اللاتينية وتعني مرتبط بميثاق (foderatus) "يأتمن" وأقدم الاستعمالات وهي مستمدة من كلمة (fidere) وتعني (يأتمن) وأقدم الاستعمالات التي قدمها التاريخ للكلمة، استعمال جماعة الطهراتية الدينية الذي كانوا يدرجون في حديثهم (اللاهوت الفدرالي) ويعنون به ميثاق بين الله والمهاجرين الذين استوطنوا في امريكا.

وبنهاية القرن السابع عشر وبواكير القرن الثامن عشر تطور استخدام الكلمة ليشمل المعاهدات بين الدول. لم يكن بوسع علماء السياسة والمحامين الدستوريين القبول به وبالتالي أصبح للفدرالية معانٍ متعددة كما ذكرنا آنفًا مما أدى إلى إنقسام في هذا المجال حيث تم تعريف الفدرالية كنظام للحكم في اتجاهين رئيسين:

لم يكن بوسع علماء السياسة والمحامين الدستوريين القبول به وبالتالي أصبح للفدرالية معانٍ متعددة كما ذكرنا آنفًا مما أدى إلى إنقسام في هذا المجال حيث تم تعريف الفدرالية كنظام للحكم في اتجاهين رئيسين:

الإتجاه الأول:

يعرف الإتجاه الأول النظام الفدرالي بانه؛ نظام الدولة التي لا تنقص من السيادة الداخلية إلا القليل بالقدر الذي تنفذ به عهد الميثاق (الإتحاد) وفي ذات الإطار تفقد الدول الأعضاء في الإتحاد سيادتها الخارجية تماماً، وذلك لأن كل العلاقات الخارجية تبقى في قبضة الحكومة المركزية التي تعد بالنسبة لحكومات الدول المتحدة ممثلة للمصالح المشتركة في الداخل وفي نفس الوقت للدول الأعضاء في كل شيء بالخارج.

الإتجاه الثاني:

يعرف النظام الفدرالي بانه النظام الذي يتكون من اتحاد عدة دول في شكل دولة واحدة هي الدولة الفدرالية، هذا الاتحاد يتم بمقتضى دستور اتحادي مع بقاء سلطات الحكم موزعة بين الدول الفدرالية والدول الأعضاء التي تشكل وثيقة اتحاد فيما بينها مع تمتع كل من الدولة الفدرالية والدول الأعضاء بالشخصية القانونية الدولية.

ويجدر بنا أن نستعرض بعض تعريفات علماء السياسة وذلك بهدف معرفة

مضمون ومحتوى الفدرالية في المعرفة بصورة أدق.

يعرف عالم السياسة بروفسير دانيال الازار (denial Elazar) الفدرالية علي انها "نمط الترتيب السياسي الذي يربط الوحدات السياسية الصغيرة بالنظام السياسي العام من خلال توزيع السلطة بين الحكومة الكبرى والحكومات الصغرى على نحو يكفل حماية السلطات الخاصة لكلا الحكومتين ويمكنها من الاسهام في الية اتخاذ القرار" وقد وصف دانيال الازار في تصوره للاتحاد الفدرالي تقسيم السلطات بالشراكة مؤكداً بذلك تقسيم السلطة الحقيقية بين عدة مراكز مع مناقشة التراتيب التعاونية مع بعضها البعض، من أجل تحقيق أهداف مشتركة، ويلاحظ أن هذه الشراكة كانت واضحة على مستوى الممارسة في تطوير وتنمية دولة الرفاهية في النظم الفدرالية في فترة ما بعد الحرب.

أما K.C Wheare ففي دراسته المنشورة عام 1946 فيعرف الفدرالية بأنها "منهج تقسيم السلطات بين الحكومتين العامة والإقليمية في إطار تنسيقي وآخر مستقل" وما يميز هذا التعريف هو اسلوبه القانوني الذى يقسم السلطات إلى مناطق اختصاص مستقلة، فالاستعمال المجازي (تقسيم الكعكة) كثيراً ما انطبق على هذا الجانب من الفدرالية، معطياً بذلك انطباعاً بوجود عدد لا نهائي من سلطات الدولة يمكن أن يوكل لأي من مستويات الحكومة اتحادياً أو ولائياً.

ومهما اختلفت التعاريف حول الفدرالية ومضمونها، إلا إنه يمكن القول أن الفدرالية هي أسلوب حكم ومنهج من مناهج الإدارة العامة، وهي في أوسع معانيها وأعم تعريفاتها لا تخرج عن كونها أسلوب نقل كامل لسلطات الحكومة من المراكز إلى وحدات سياسية صغرى، بحيث يمكن أن يكون المواطن محلاً للسلطتين معاً، وهما السلطة الاتحادية وسلطة الوحدة الإدارية (الولاية) التي يقطنها، ويتطلب التعاقد بين المركز والوحدات الصغرى (ولايات) اهدافاً محددة ، ودستوراً مكتوباً تقوم بموجبة الدولة الفدرالية.

الفرق بين النظام الفدرالي والكونفدرالي:

لابد لنا بداية أن نفرق بين كل من مفهومي "الفدرالية والكونفدرالية" فهناك اختلاف كبير بينهما فالفدرالية كما أسلفنا في المقدمة اثناء تتبعنا تطور المصطلح هي توزيع افقي جغرافي ينشأ اساسا عن علاقة تعاقدية بين المركز ووحدات أصغر تشكل الدولة الكاملة.

أما الكونفدرالية فهي تمثل إتحاد لدول مستقلة ذات سيادة تحتفظ كل منها بسيادتها الكاملة. ويكون لهذا الإتحاد سلطة مشتركة تنحصر في مهام محددة خاصة الأمور الخارجية وذلك بهدف تحقيق أهداف مشتركة متفق عليها بين الدول الاعضاء.

الفدرالية علي انها "نمط الترتيب السياسي الذي يربط الوحدات السياسية الصغيرة بالنظام السياسي العام من خلال توزيع السلطة بين الحكومة الكبرى والحكومات الصغرى على نحو يكفل حماية السلطات الخاصة لكلا الحكومتين ويمكنها من الاسهام في الية اتخاذ القرار"

هنالك نوعان من الدول ـ حسب رأي المفكرين السياسين ـ "دول معقدة التركيب وتتميز بكبر المساحة، وتباين الأعراق وتعدد الثقافات ـ كالولايات المتحدة الأمريكية والهند والبرازيل والسودان. والنوع الثاني"دول بسيطة التركيب ـ مثل بريطانيا. وتأخذ العديد من الدول معقدة التركيب بنظام الحكم الفدرالي لما تتيحها لها الفدرالية من تكوين دولة جيدة تتكيف دستورياً لتشكل كياناً متحداً لا تضار فيه السلطة المركزية ووضعية الولاية الدستورية مهما صغر حجمها أو قل عدد سكانها، وتتنازل الولايات المكونة للدولة الفدرالية عن سيادتها الخارجية لكي تكون الإتحاد، لكنها في الوقت نفسه تحتفظ بجزء من سيادتها الداخلية كما هو الحال في دول العالم المطبقة للنظام الفدرالي مثل ـ المانيا واستراليا وغيرها، كما أن هنالك عدد محدود من الدول صغيرة الحجم بعضها كذلك تطبق النظام الفدرالي مثل "سوسيرا والنمسا".

وكذلك يربط الدولة الفدرالية دستور يتصف بصفة السيادة يضفي عليها حصانة قوية على الوحدات الداخلية المكونة لها، بيد أنها لا تستطيع أن تنفصل عن الدولة الأم وتستقل بنفسها لأي سبب من الأسباب بنص الدستور، هذا يعني أن دساتير الدول الفدرالية دساتير جامدة يصعب تعديلها إلا عن طريق إجراءات معقدة وبموافقة الغالبية العظمى من مواطني الدولة.

أبرز خصائص الفدرالية أن الحكومة القومية لا تستطيع تعديل وضعية الولايات الجغرافية بتبديل حدودها مثلاً، فالدستور يضفي حصانة قوية على الولايات كمظهر من مظاهر السيادة الجزئية. وفي ذات الأوان لا تستطيع اي ولاية أن تنفصل عن الدولة الأم وتستقل بنفسها، وإذا أرادت السلطة القومية تعديل الدستور لتقليص سلطات الولايات أو تعديل حدودها او اي أمر آخر فهذا يقتضي موافقة الأغلبية ووفق إجراءات معقدة تمنع التعديل أكثر مما تيسره.

ولذلك فكل دساتير الدول الفدرالية دساتير جامدة بمعني صعبة التعديل "وقد حدث في نيجيريا أن حاول إقليم بيافرا الإنفصال عن الدولة الأم في عام 1963م فحالت حكومة نيجيريا الفدرالية دون انفصاله لأن الإنفصال يتناقض مع القانون والدستور الذي بموجبة شُكل الاتحاد. إن الإتحاد السوفيتي (السابق) الذي انهار وتفتت إلى دويلات هو الدولة الفدرالية الوحيدة في العالم التي كان دستورها يسمح للولايات (الجمهوريات) الأعضاء فيه بالانفصال عن الاتحاد متى ما رغبت في ذلك. ونعتقد أن هذه ثغرة في دستور الإتحاد السوفيتي وتعد من أسباب انهيار أعمدة الإتحاد في العام 1990م في عهد الرئيس ميخائيل قورباتشوف.

وعلى كل، فإن الفدرالية تتميز بالتخصص بمعني أن السلطات المختلفة داخل الدولة تنقسم بعدالة بين المركز والحكومات المحلية فالمركز يختص بالشؤون الكبرى ـ كالسياسة الخارجية والدفاع والشؤون المالية والاقتصادية وغيرها، أما الشؤون ذات الطابع المحلي ـ كتأسيس المدن أو تنظيم الأسواق فيترك أمرها

هذا يعني أن دساتير الدول الفدرالية دساتير جامدة يصعب تعديلها إلا عن طريق إجراءات معقدة وبموافقة الغالبية العظمى من مواطني الدولة.

للحكومة المحلية. فالفدرالية تعطي القوميات المختلفة داخل الدولة الفرصة لتعبر عن ذاتها من خلال ما يتاح من حريات عامة وقوانين خاصة في لاياتها. فربما تكون هنالك ولاية أو ولايات ـ وللاختلاف عن نظيراتها في الدولة الفدرالية تطبق قوانين خاصة تسمح لها بالتعبير عن ذاتيتها مما يمكنها من الاحتفاظ بثقافتها وتنمية أرضها بقدرتها وجهدها ويؤدي ذلك لإشباع حاجياتها المادية والروحية بقدر أكبر ويلاحظ ان الدولة الفدرالية تتكون من وحدات داخلية تختلف في تسميتها من دولة لأخرى ـ فمثلاً في سوسيرا تسمى (كانتونات) وفي الولايات المتحدة والسودان تسمي (ولايات) وفي الإتحاد السوفيتي السابق (جمهوريات) وفي دولة الامارت المتحدة تسمى (أمارات).

فالفدرالية تعطي القوميات المختلفة داخل الدولة الفرصة لتعبر عن ذاتها من خلال ما يتاح من حريات عامة وقوانين خاصة في لاياتها.

أما الإتحاد الكونفدرالي فيقوم على أساس وثيقة أو معاهدة ولهذا يطلق عليه اسم (الاتحاد الكونفدرالي) نسبة للمعاهدة التي انشأ موجبها. ففي الاتحادات الكونفدرالية تتنازل الأطراف المتعهدة تنازلاً جزئياً لتكوين كيان مركزي، الذي توكل إليه بعض الشؤون السياسية والإدارية والتنموية الخاصة بالإتحاد الكونفدرالي، وللدول الأعضاء في الاتحاد الكونفدرالي الحق في أن تنفصل عن الإتحاد متى ما شاءت.

إن الإنفصال عن الإتحاد الكونفدرالي يتم في حالة تضرر المصالح القومية للدولة العضو والسلطة المشتركة في الإتحاد الكونفدرالي يتعامل بها فقط مع حكومات الدول الأعضاء أما مواطنو هذه الدول فلا يطبقون قرارات السلطة المشتركة، ألا في حالة فرضت عليهم من قبل حكوماتهم.

كان ذلك باختصار غير مخل ـ هو جوهر الإختلاف بين النظامين الفدرالي والكونفدرالي اللذين تناولناهما بصورة مقتضبة، فالنظام الكونفدرالي يمكن تقيمه بانه نظام ضعيف يتسم بعدم الاستقرار. كما هو واضح في تجربة الولايات المتحدة الامريكية قبل ان يسن دستور (1789) ففي البدء كانت ولاياتها الثلاث عشرة ترتبط بعلاقات غير ثابتة مع وجود حكومة مركزية ضعيفة (هي الاتحاد الكونفدرالي). وكذلك من أبرز النماذج المنظمات الدولية ـ كمنظمة الوحدة الافريقية الذي يعتبر نظاماً كونفدرالياً فهو يتسم بالضعف في ميثاقها وفي آلية فض النزاعات، فمنظمة الوحدة الإفريقية تضم الدول الافريقية المستقلة ذات السيادة، ورغم أن ميثاقها يحدد أهدافها وغاياتها، لكنها عجزت عن تحقيق الأهداف والغايات التي قامت من اجلها.

نشأة الفدرالية:

لقد نشأة الفدرالية في ظروف مختلفة تماماً فكل منها كان نتيجة فريدة لاختيارات اتخذها القادة السياسيون والقوى التاريخية الكبرى وتم اختيار الفدرالية من أجل جمع وحدات كانت منفصلة سابقاً في دولة وجديدة أو لإعادة ترتيب دول كانت وحدوية وأحيانا كنتاج للعمليتين معاً.

يعتبر كل اتحاد فدرالي فريداً من نوعه، ويمكن بدون مجازفة طرح القليل من التعميمات حول كيفية قيام وتطور الأنظمة الفدرالية واسبابها. غير إنه في كافة حالات التحول نحو الفدرالية قام القادة السياسيون بإضفاء صفة دستورية على وجود مستويين للحكومة كأسلوب لتحقيق اهدافهم الشخصية مع الحد من العنف أو القضاء عليه في بعض الحالات. إلا أن للفدرالية عدة طرق لنشأتها وهي موضوعنا القادم.

طرق نشأة الفدرالية:

• كانت عملية التوحد تعتبر في بعض الحالات امراً محورياً لنشاة الفدرالية، فقد توصلت وحدات كانت منفصلة سابقاً، ولايات مستقلة أو مستعمرات بينها مصالح مشتركة وهوية مشتركة بشكل كافي للإنضمام معاً في اتحاد فدرالي، ولماذا فدرالي؟ لأن الهيكل الفدرالي كان يسمح لكل وحدة بالمحافظة على قدر من استقلاليتها الذاتية مع تجميع عناصر أخرى في المجتمع الجديد.

• قد تكون الدولة في حالات أخرى قد نشأت اصلاً من خلال هيكل وحدوي شديد المركزية، ولكن الاختيار النهائي للفدرالية كان استجابة للضغوط السياسية واالديمقراطية نحو نقل السلطات او تحويلها بسبب تعددية الدولة اللغوية أو الدينية او الإثنية، وربما ايضاً بسبب وجود فروق اقتصادية كبيرة بين الأقاليم وقد تكون للاقاليم التي تضغط باتجاه الاستقلال الذاتي في بعض الدول كيانات سياسية مميزة في الماضي.

• تنشأ الفدرالية في حالات أخرى من هاتين العمليتين معاً، فقد نشأت كندا عن طريق إقامة (الكيبيك) من نظام وحدوي سابق ومن ثم تمت إضافة مقاطعات جديدة.

التيارات التاريخية للفدرالية:

لقد تشكلت الأنظمة الفدرالية عبر سلسلة من الموجات التاريخية خلال القرنين الماضين، فقد شهدت الموجة الأولى من نهاية القرن الثامن عشر حتى بداية القرن العشرين إنشاء دول جديدة من وحدات كانت مستقلة في السابق إتحدت معاً في شكل فدرالي. وقد إتحدت سويسرا والولايات المتحدة في البداية كنظام كونفدرالي. واستمرت التجربة الأمريكية مع الكونفدرالية ثماني سنوات فقط من العام 1781ــ 1789م عندما قامت الولايات ال13بمعالجة ضعف كان موجودا في الحكومة المركزية وذلك من خلال تشكيل أول فدرالية معاصرة، وتطورت الكونفدرالية السوسيرية على مدى أكثر من خمسة قرون ولكن بعد حرب أهلية قصيرة اختارت في عام 1848م دستوراً فدرالياً على نمط النموذج الأمريكي. وظهر أول دستور فدرالي لالمانيا في عام 1871 ليحل محل الترتيبات الكونفدرالية، وبالرغم من أن كندا تكونت في البداية عام 1867 من خلال إتحاد ثلاثة مستعمرات أخرى إلا أن اتفاقها المؤسس للفدرالية تضمن تقسيم كبرى

فقد توصلت وحدات كانت منفصلة سابقاً، ولايات مستقلة أو مستعمرات بينها مصالح مشتركة وهوية مشتركة بشكل كافٍ للإنضمام معاً في اتحاد فدرالي، ولماذا فدرالي؟ لأن الهيكل الفدرالي كان يسمح لكل وحدة بالمحافظة على قدر من استقلاليتها الذاتية مع تجميع عناصر أخرى في المجتمع الجديد.

تلك المستعمرات إلى مقاطعتين بحيث أن تضمن الاتحاد ونقل السلطة في آن واحد.

في امريكا اللاتينية نشات 14 اتحادات فدرالية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فقد حصلت تلك الدول جميعاً على استقلالها في اعقاب حروب نابليون في شبه الجزيرة الإيبرية، ولكن تبع ذلك تطورات دستورية مختلفة خلال فترات من الديكتاتورية والاضراب المدني، وقد نشأت دساتيرها الفدرالية بمرور الوقت احياناً عقب تجارب مكبدة مع كل من الانظمة الفدرالية والوحدية أدى التحول إلى وجود ديمقراطية حقيقية خلال ال20عاماً الماضية في كل من الأرجنتين والبرازيل والمكسيك وأضفت حياة حقيقية على الترتيبات الدستورية الفدرالية في تلك الدول.

وجاءت الموجة الهامة التالية من قيام الأنظمة الفدرالية الجديدة الناجمة عن انهيار الشيوعية، فقد كان لكل من دول الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكية ويوغسلافيا وضعاً يشبه كأنها انظمة شيوعية دساتيرها فدرالية من الناحية الاسمية ولكنها في الحقيقة كانت انظمة حكم مركزية يحكمها الحزب الواحد. ولعل الحالة الأخيرة التي يجب ذكرها في تاريخ الفدرالية هي الإتحاد الاوربي، فالاتحاد الاوربي يعد مؤسسة سياسية فريدة يمكن اعتبارها كونفدرالية اكثر منها فدرالية، ولكنه يضم العديد من الملامح الفدرالية. وهناك جدل مستمر بين الأوربيين حول ما إذا كان يجب التوجه بشكل كامل نحو الفدرالية أو البقاء بهذا الشكل الكونفدرالي. وتبقى تجربة الاتحاد الاوربي على حال من النماذج شديدة الأهمية لدراسي الفدرالية.

وجاءت الموجة الهامة التالية من قيام الأنظمة الفدرالية الجديدة الناجمة عن انهيار الشيوعية، فقد كان لكل من دول الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكية ويوغسلافيا وضعاً يشبه كأنها انظمة شيوعية دساتيرها فدرالية من الناحية الاسمية ولكنها في الحقيقة كانت انظمة حكم مركزية يحكمها الحزب الواحد.

الهندسة السياسية للفدرالية:

الفدرالية هي عبارة عن نظام يتأسس بموجب الدستور ويضم على الأقل مستويين من الحكومة يتمتع كل منها ببعض الإستقلال الحقيقي عن المستوى الآخر. وتكون الحكومات على كل مستوى خاضعة للمساءلة في المقام الأول من قبل جماهير ناخبيها.

هنالك ما يزيد على 24دولة تطلق على نفسها اسم فدرالية أو تعتبر عادة كذلك، يعيش في هذه الدول ما يقرب من 40بالمائة من سكان العالم، أن الانظمة الديمقراطية التي تضم مساحات كبيرة للغاية (كندا، الولايات المتحدة، البرازيل واستراليا) وتلك التي تضم اعداداً كبيرة من السكان (الهند، باكستان ونيجيريا) هي أيضاً فدرالية. تتباين هذه الدول كما تتباين انظمتها السياسية إلى حد بعيد. أن جوهر كون الإتحاد فدرالياً هو وجود مستوين على الأقل من مستويات الحكومة اللذين تأسسا بموجب الدستور: حكومة فدرالية وحكومات الوحدات المكونة (التي يطلق عليها في كثير من الأحيان اسم ولايات او مقاطعات وكذلك كانتونات، لاندر، مجتمعات واسماء أخرى) ويتمتع كل منها باستقلال دستوري حقيقي وعلاقة انتخابية مباشرة

مع سكانة. يتم في عدد قليل من الاتحادات الفدرالية ارساء وترسيخ مستوى حكومة البلديات أو المستوى المحلي ايضاً في نص الدستور.

تتشكل الأنظمة الفدرالية من خلال هندستها السياسية التي تضم ما بين وحدتين مكونتين إلى 80 وحدة. وقد تشكل أكبر وحدة أو وحدتين أغلبية واضحة في الدولة أو قد يكون لها وزن صغير نسبياً. وقد تكون الوحدات الكبرى أكبر بكثير من أصغر الوحدات وقد تكون مقاربة نسبياً في الحجم، وقد تفتقر الوحدات شديدة الصغر أو الأقل تطوراً إلى القدرة على تحمل المسؤليات. يتراوح سكان الأنظمة الفدرالية ما بين أكثر من مليار شخص كما هو الحال في الهند، وتعتبر الوحدات المكونة الأكبر حجماً في بعض الأنظمة الفدرالية أكبر من غيرها داخل الدول فمنطقة (فاتار براديش) في الهند تضم 160 مليون نسمة بينما تضم كاليفورنيا 34مليون شخص ونجد على الطرف النقيض بعض الوحدات المكونة شديدة الصغر مثل نيفيس التي تضم 12 الف نسمة فقط.

تقسيم السلطات في الانظمة الفدرالية:

هنالك منهجان لتقسيم السلطات داخل الأنظمة الفدرالية النموذج الأول هو (النموذج الإزدواجي) والنموذج الثاني (هو النموذج الاندماجي) وتوجد في كثير من الدول عناصر لكلا النموذجين. وعادة ما يخصص النموذج الإزدواجي صلاحيات مختلفة لكل مستوى من مستويات الحكومة والذي يقوم بدوره بطرح وإدارة برامجة. أما النموذج الاندماجي فيتضمن الكثير من الصلاحيات المشتركة وغالباً ما تقوم حكومات الوحدات المكونة بإدارة القوانين أو البرامج التي يتم تشريعها على المستوى المركزي.

وطبقاً للنموذج الإزدواجي أو الكلاسيكي للفدرالية يتم عادة قصر تخصيص الصلاحيات الدستورية لمجالات مختلفة على أحد مستويي الحكومة. ويقوم كل مستوى من مستويات الحكومة في هذا النموذج، بتقديم برامج في نطاق مسؤولياته باستخدام جهاز ودوائر الخدمة المدنية المتوفرة لديها، وبهذا تكون دوائر الحكومة الفدرالية منتشرة في مختلف أنحاء البلد.

هناك سلطات مشتركة أو متزامنة في جميع الدساتير الازدواجية حيث يمكن لكل مستوى من مستويات الحكومة أن تسن القوانين. توجد في كندا وبلجيكا سلطات متزامنة قليلة، بينما يتوفر في أستراليا تزامن شديد في السلطات، وحيث وجدت سلطات متزامنة تكون السيادة في الغالب وليس دئماً للقانون الفدرالي، بمعني انه يسود في حالا النزاع.

قد يكون هناك أيضاً تزامن بحكم الواقع، عندما يكون لكلا مستويي الحكومة سلطات مختلفة لها تاثير على قضية واحدة وهذا يعتبر نوعاً من السلطة المشتركة وعادة لاينطوي على سيادة مستوى من الحكم على الآخر. فموضوع البيئة مثلاً لا يرد في الدساتير القديمة كمجال من مجالات السلطة لاي من مستويي الحكم، ولكن

هنالك منهجان لتقسيم السلطات داخل الأنظمة الفدرالية النموذج الأول هو (النموذج الإزدواجي) والنموذج الثاني (هو النموذج الاندماجي) وتوجد في كثير من الدول عناصر لكلا النموذجين.

قد يكون لكلا المستويين صلاحيات قانونية مختلفة تسمح لها بتنظيم التاثيرات البيئية لاحد المشاريع الرئيسية الخاصة بالبنية التحتية مثلاً، وبالتالي لا يتم تنفيذ تلك المشاريع الا بوافقة كلا المستوين.

تنوع توزيع السلطات في الفدراليات:

على الرغم من وجود بعض الأمور المشتركة بين الأنظمة الفدرالية فيما يتعلق بتحديد السلطات التي تخصص لكل مستوي من مستويات الحكومة إلا أن هناك أيضاً فروق جوهرية. لقد تمت كتابة الدساتير الفدرالية كما رأينا خلال 230 عاماً الماضية في مضامين مختلفة إلى حد كبير، وتعكس معظم الدساتير الحديثة الدروس المستفادة من خبرات الدساتير السابقة سواء كانت جيدة أو سيئة. وهكذا فإن وجود اختلافات كبيرة في المناهج المتخذة لتوزيع السلطات ضمن الأنظمة الفدرالية لا يعتبر امراً مفاجئاً يتم عادة تخصيص عدد من السلطات للحكومة الفدرالية وعدد آخر في الغالب يخصص لحكومات الوحدات المكونة، ولكن مع وجود هذا النمط الغالب سواء كان قوياً أو ضعيفاً، إلا أننا سنجد غالباً عدداً من السلطات خارج النمط السائد وأحياناً لايوجد نمط واضح.

يعطي الجدول أدناه صورة أولية عن تلك الانماط، إن عملية توزيع السلطات في أي اتحاد فدرالي هي عملية معقدة وتعكس ليس فقط نص الدستور ولكن قرارات المحاكم وتطورات أخرى ايضاً.

أنماط توزيع بعض السلطات داخل الأنظمة الفدرالية:

يشير الجدول التالي إلى التوجهات فيما يتعلق بتوزيع السلطات في معظم الفدراليات. فكلمة (متزامن) تعني أن كل مستوى من مستويي الحكومة يستطيع أن يسن القوانين في مجال محدد وعادة ما تكون السيادة القانون الفدرالي. اما كلمة (متضامنة) تعني ان كلا المستويين يتخذان قرارت متزامنة سوياً (مشتركة) وأن كل مستوى من المستويات له بعض السلطات القانونية المختلفة في المجال العريض ويتم إتخاذ القرارت بصفة مستقلة.

الجدول أدناه يوضح توزيع السلطات:

توزيع السلطات

العملة دائماً فدرالية

الدفاع دائماً فدرالية وأحيانا يكون هناك دور للوحدة المكونة

التصديق على المعاهدات يكاد يكون فدرالي واحياناً يوجد دور للوحدة المكونة

التجارة الخارجية عادة فدرالية واحياناً متزامنة

لقد تمت كتابة الدساتير الفدرالية كما رأينا خلال ٢٣٠ عاماً الماضية في مضامين مختلفة إلى حد كبير، وتعكس معظم الدساتير الحديثة الدروس المستفادة من خبرات الدساتير السابقة سواء كانت جيدة أو سيئة. وهكذا فإن وجود اختلافات كبيرة في المناهج المتخذة لتوزيع السلطات ضمن الأنظمة الفدرالية لا يعتبر امراً مفاجئاً يتم عادة تخصيص عدد من السلطات للحكومة الفدرالية وعدد آخر في الغالب يخصص لحكومات الوحدات المكونة،

التجارة بين الولايات عادة فدرالية وأحياناً متزامنة أو متضامنة
التعليم الابتدائي والثانوي عادة للوحدة المكونة
التعليم ما بعد الثانوي فدرالية
تامين الدخل مزيج من الفدرالية والتزامن والتشارك
رواتب التقاعد أما متزامنة أو متضامنة أو متشاركة
الرعاية الصحية عادة للوحدة المكونة وأحياناً متضامنة
الموارد المعدنية لا يوجد نمط واحد
الزراعة لا يوجد نمط واضح
البيئة عادة متزامنة أو متضامنة
الشؤون البلدية عادة للوحدة المكونة
نظام المحاكم عادة متضامنة أو متشاركة وأحياناً فدرالية
القانون الجنائي لا يوجد نمط واضح
الشرطة عادة متشاركة وأحياناً متضامنة
الجمارك وضرائب الشركات والضرائب الشخصية تكاد تكون فدرالية أو متضامنة

هذا النموذج المبسط الذي قمنا باستعراضه لا يمثل الشكل المطلق لتوزيع السلطات ولكن معظم الأنماط تخضع للسياق الدستوري الفدرالي الذي يتفق عليه الحكومة الفدرالية والوحدات المكونة.

هذا النموذج المبسط الذي قمنا باستعراضه لا يمثل الشكل المطلق لتوزيع السلطات ولكن معظم الأنماط تخضع للسياق الدستوري الفدرالي الذي يتفق عليه الحكومة الفدرالية والوحدات المكونة.

ختامًا:

نذكر القارئ بأن هذا المقالة عن الفدرالية لم يكن الأشمل والأوسع ولكن هي محاولة لفتح بوابات البحث المستفيض عن الفدرالية، وأذكر أيضاً أنني سوف أتناول الفدرالية المالية والجانب الإقتصادي للفدرالية في كتابة منفصلة.
وأخيراً، أتمنى ان تكون المقالة قد حققت الأهداف المرجوءة منها.

قائمة المراجع:

- مقدمة عن الفدرالية - جورج اندرسون
- النظام الفدرالي في السودان وتحديات الاستقرار وعبر الاستمرار - دكتور / حسن حامد مشيكة.

CENTER FOR
STRATEGIC &
POLICY STUDIES

تأسس مركز جنوب السودان للدراسات الاستراتيجية و السياسات (CSPS) في يوليو ٢٠١١ ، بهدف المشاركة في تنمية البلاد من خلال البحوث.وقد طور المركز برامج بحثية موجهة نحو تشكيل دولة ديمقراطية تنموية قائمة الديمقراطية التشاركية و الحكم الرشيد تحت إشرافها ورعايتها بأستخدام التنمية المستدامة، والموارد البشرية و الطبيعية لغرض وحيد هو تعزيز رفاهية المواطنين.

© ٢٠٢٢ مركز جنوب السودان للدراسات الاستراتيجية و السياسات. جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا المنشور أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة دون إذن كتابي من مركز جنوب السودان للإستراتيجيات ودراسة السياسات، باستثناء حالة الاقتباسات الموجزة في المقالات الإخبارية أو المقالات النقدية أو المراجعات.

P.O.Box 619
Hai Jebrona, Adjacent to Martyrs School,
Opposite Simba Playground,
Juba, South Sudan.

+211 920 310 415 | +211 915 652 847
https://csps.org.ss